

التناصّ والأنماط الأدبية سفر أشعيا في لوقا-أعمال

د. دانيال عيوش

دكتور في العلوم البيبلية - جامعة بلنند

مقدمة

إنّ السرد الروائيّ شكل من الأشكال الجوهرية للنطق البشريّ. يجسّد البشر إلى حدّ بعيد القصص التي يروونها والذكريات التي تترتّب وتندوّن على شكل قصص وروايات. كلّ هويّة، العائليّة والمجتمعيّة والوطنيّة منها، كلّها تأخذ شكلها شيئاً فشيئاً على أساس قصص يقبلها أفرادها ويعدّلونها مع مرور الزمان. عندما يختبر المرء تغيّرات جذريّة في حياته يلتجئ إلى إخبار قصّته، إلى التعبير عن معتقداته بواسطة السرد والإخبار. لذلك تعود الشعوب إلى تحليل قصصها وإلى تعديلها عندما يفرض الزمن عليها واقعاً جديداً. يقول الناقد نيكولاس لاش:

"الشعوب هم القصص التي يُخبرونها، ويقومون بتمثيلها، ويحتفلون بها؛ القصص التي فيها يمكنون. نحن نتعلّم هذه القصص ونميّز صحتّها وحقيقتها عندما نشترك في السياقات الثقافيّة التي تقبلها وتجسّد في عاداتها الاجتماعيّة وفي مؤسّساتها. وبإمكاننا أيضاً أن نتخلّص من هذه القصص نفسها عندما نكتشف عدم حقيقتها وصحتّها، فقط إذا تعلّمنا قصّة جديدة تُجسّد عادات جديدة ومدرسة جديدة" (LASH, 196).

تخدم هذه الأفكار لرسم الخلفيّة التي على أساسها ذكر لوقا نصوص العهد القديم بأشكال مختلفة في كتابيه لوقا/أعمال. سرد العهد القديم الروائيّ عنصر تأسيسيّ لما يُخبره لوقا في عمله، وبدونه تفقد نصوصه من المعنى. يعتمد لوقا على الأقسام الثلاثة للـ"تنخ" (أي "توراة"، و"أنبياء"، و"كتب") من أجل إحياء الذكرى ودعم المبادئ، ومن أجل تقديم المقارنة والاستشهادات والبراهين والحجج المقنعة للقصص التي يخبرها عن أعمال الناصريّ وهويّته وعن أعمال تلاميذه وشهادتهم. وبين أبرز الأسفار القديمة

التي يعتمد عليها لوقا نجد السفر الذي ندرسه في هذا الكتاب: سفر أشعيا النبي.

يلاحظ كلّ قارئٍ منتهيهٍ للعمل اللوقاويّ مدى تأثير أشعيا على الإنجيليّ الثالث، وذلك لأنّ أعمال يسوع العلنيّة تبدأ باستشهاد من أشعيا (الإصحاح ٣)، ونهاية أعمال الرسل تُتوّج باستشهاد آخر من النبيّ نفسه (الإصحاح ٢٨). ولكن ليس ذلك فحسب؛ فهناك مواضع أخرى عديدة يحضر الإنجيل الخامس فيها بقوّة نبوءاته ووعوده المسيحيّة.

تتنوّع الدراسات الحديثة حول العلاقة الأدبيّة بين لوقا وأشعيا. يجدر هنا ذكر مقالة كويت (KOET) بعنوان "أشعيا في لوقا-أعمال"، ولائحة المراجع فيها التي تذكر أبرز الأعمال المكتوبة حول الموضوع. يحدّد كويت إطار بحثه ضمن منهج النقد التاريخيّ، ويحلّل الاستشهادات الحرفيّة من أشعيا في لوقا على التوالي. هناك أيضًا مقالتان للعالم البيبليّ كرواتو. تحلّل المقالة الأولى التأثير اللاهوتيّ لأشعيا على تطويبات لوقا وعلى العظة في السهل (CROATTO 1997). أما المقالة الثانية، فتعرض تطوير لوقا لمثل الكرامة في أش ٥ : ١-٧ (CROATTO 2002) وتطرح منهج تفسير لوقا للسفر النبويّ.

تبدأ هذه المقالة بتعريف وجيز للتناصّ حسب النقد الأدبيّ الحديث، وبناءً على نظريّة جيرار جينيت (Gerard GENET). ثمّ تحلّل وتيرة ومدى حضور النصّ الأشعياويّ في لوقا/أعمال على أساس المعطيات الإحصائيّة. في القسم الثاني تقدّم المقالة تفسيرًا لبعض النصوص المؤثرة من لاهوت أشعيا، حتّى نصل إلى تخطيط أبعاد تأثير اللاهوت الأشعياويّ في النصوص اللوقاويّة. تعتمد هذه المقالة على منهجية حديثة للوصول إلى نتائج أفضل بناءً على براهين شتّى.

٢. بعض الآراء في منهجيّة تحليل التناصّ

نحاول في هذا العنوان تحديد ماهيّة التناصّ وخصائصه. مقدّمة مارجيرا وكورتيس في كتابهما حول التناصّ باب أساسيّ للدخول إلى الموضوع (MARGUERAT-CURTIS 8-10). ثمّة فرق أساسيّ بين التفسير النقديّ التاريخيّ ونظريّات التناصّ التي تمنح للنصّ حرّيّة كاملة، وتنطلق لتفسير النصّ على أساس مرحلته الأخيرة. لا يركّز دارسو التناصّ على تاريخ تكوين النصّ، بل على الرسالة التي

يحتويها. كما يقول أومبير تو إيكو: نظريات التناصّ الحديثة تسمح لنا أن نتقل من قصد المؤلف إلى قصد المؤلف (*from intentio auctoris to intentio operis*)، أي لم نعد نظنّ أنّ هناك مؤلّفًا قادرًا أن يسيطر على كلّ جانب من جوانب عمله الأدبيّ، وأن يتحكّم به. يحمل النصّ بنفسه رسالةً تعكس النظام المعقّد لعملية التواصل والذاكرة الجماعيّة للأديان والشعوب.

يضع جينيت تصنيفَ التناصّ على أساس خمس عناصر يجمعها تحت العنوان العامّ: "علاقة النصوص" (*La transtextualité*؛ رج 7-14 Genet). في ترتيب متصاعد للتجرّد في العلاقة يوّب جينيت التناصّ على الشكل التالي:

علاقة النصوص – <i>La transtextualité</i>		
١	التناصّ (بالاستشهاد والتلميح)	L'intertextualité
٢	التناصّ بالاقْتِباس	l'hypertextualité
٣	التناصّ بالتفسير	la métatextualité
٤	التناصّ بذكر العنوان	la paratextualité
٥	التناصّ بالأنماط الأدبيّة	l'architextualité

يعتبر العنصر الأوّل، أي ذلك المبنيّ على الاستشهاد والتلميح كالتناصّ الأصليّ والأصيل، لأنّه يفتح المجال لحضور نصّين مختلفين في إطار واحد. نجد في لو ٣: ٤-٦ وفي أع ٢٨: ٢٦-٢٧ نموذجين لهذا النوع من التناصّ. هناك أيضًا أمثلة عديدة للأنواع الأربعة الأخرى في إنجيل لوقا وسفر أعمال حيث يحضر النصّ الأشعياويّ بواسطة الاقتباس والتفسير وذكر العنوان واستخدام أنماطه الأدبيّة أيضًا^(١).

يضع هذا التصنيف ترتيبًا أوليًا لظاهرة التناصّ. يجدر الذكر أنّه ليس لهذه الأصناف حدود واضحة وقاطعة، ولذلك يجوز أن يتداخل الواحد على الآخر. لا ينكر هذا

(١) رج على التوالي: لو ١: ٢٧ كاقْتِباس عن أش ٧: ١٤؛ أع ٧: ٤٤-٥٠ كتفسير لأش ٦٦: ١ ونصوص نبويّة أخرى؛ لو ٣: ٢٢ كذكر لعنوان نشيد العبد المتألّم في أش ٤٢: ١؛ لو ٣: ١-١٨ كنودج لاستخدام النمط الأدبيّ المعتمد عليه في أش ١، وهو التعريف على النبيّ وأعماله.

التصنيف على الإطلاق البعد الإبداعي لهذه الظاهرة الأدبية. كما يقول أنطوان برمان: "تتميّز هذه العلاقات النصّية كلّها بحريّة روابطها التي تتصرّف بالنصّ الأوّل على أساس الإبداع والابتكار (رج 9 MARGUERAT-CURTIS).

٣. معلومات إحصائية

لاحظ قرّاء الكتاب المقدّس ومفسّروه تأثير سفر أشعيا على العهد الجديد، وهو أمر لا يُنكر أنّ نصوص أشعيا ألهمت كتاب العهد الجديد. تحتوي الأناجيل الإزائية على استشهادات مباشرة من النبيّ أشعيا، وتعتمد على صورة العبد المتألّم الأشعياويّ لتعزيز سرد الآلام لاهوتياً. حسب وسيلة البحث الإلكترونيّ بايبلورزكس (Bibleworks 9) يُذكر اسم النبيّ ٢٢ مرّة في الأسفار: ٦ مرّات في متى، مرّتان في مرقس، مرتان في لوقا، أربع مرّات في يوحنا، ثلاث مرّات في أعمال، وخمس مرّات في الرسالة إلى أهل روما. ولكنّ الاستشهادات و التلميحات إلى سفر أشعيا تتكرّر مراراً وتكراراً.

أما الموقع "الماء الحيّ" (*Levend Water*) للدراسات البيبليّة على الإنترنت، فيضيف التلميحات على الاستشهادات المباشرة، وتعدّ ٨٥ استشهاداً بأشعيا في العهد الجديد وتلميحات إليه. بحسب الموقع أيضاً هناك ٦١ مقطعاً من أشعيا لها علاقة أدبيّة بالعهد الجديد، إذ أنّ هناك أكثر من كاتب واحد في العهد الجديد يعتمد على النصّ الأشعياويّ نفسه. يجدر الذكر أنّ هناك ٧ أسفار في العهد الجديد فقط لا تذكر أشعيا أبداً^(٢). ولكنّ هذه المعلومات قابلة للنقاش، كما سنرى لاحقاً، لأنّه، بحسب بايبلورزكس، ليس ثمة سفر لا يعتمد على نصوص أشعيا في العهد الجديد.

لنعد إلى الاستشهادات المباشرة. هناك مقطعان يذكّران اسم أشعيا قبل الاستشهاد بنبوءته في إنجيل لوقا. يخدم الأوّل كمقدّمة لأعمال المعمدان في لو ٣: ٤-٦ (مستشهداً بأش ٤٠: ٣-٦)، والثاني كمقدّمة لأعمال يسوع العلنيّة في مجمع الناصرة في لو ٤: ١٨-١٩ (مستشهداً بأش ٦١: ١-٢+ ٥٨: ٦). أضف إلى ذلك، هناك استشهادان مباشران لسفر أشعيا دون ذكر اسم السفر، هما طرد الباعة من الهيكل

(٢) تعود المعلومات الواردة على الموقع "Levend Water" إلى العمل الكلاسيكيّ والمشهور للاهوتيّ

في لو ١٩: ٤٦ (مستشهدًا بأش ٥٦: ٧)، والإعلان عن المعركة الأخيرة في العشاء السرّي في لو ٢٢: ٣٧ (مستشهدًا بأش ٥٣: ١٢).

يؤكد كويت على أن هناك أربعة استشهادات مباشرة في الإنجيل، وأن اثنين منها واردان أيضًا في متى ومرقس (أش ٤٠: ٣-٥ وأش ٥٦: ٧؛ رج Koet 79). يتميز لوقا في استشهاده بأش ٤٠: ٣-٥ أنه لا يتوقّف حتّى يصل إلى الجملة: "وَيُنْصِرُ كُلَّ بَشَرٍ خَلَّصَ اللَّهُ"، كما نراه في لو ٣: ٦.

أما بخصوص سفر أعمال الرسل، فيتفق كويت وموقع "الماء الحيّ" على وجود خمسة مقاطع تحتوي على استشهادات مباشرة دون أن يحصيّا التلميحات. وبينها فقط المقطع الخامس يذكر اسم أشعيا كخاتمة سفر أعمال التي ترسم لاهوت السفر وتطلّعات الكاتب إلى المستقبل. يتميز هذا الاستشهاد لهذه الدرجة أن الأناجيل القانونية الأخرى تذكره أيضًا في مقاطع مختلفة.

نقدّم في الجدول البياني الآتي أدناه الاستشهادات والتلميحات كما يقترحها كويت وبولينغر (BULLINGER) معًا. من أجل تمييز الاستشهادات عن أنواع التناصّ الأخرى، وضعنا خلفيّة داكنة عليها:

لو/أع حصريًا	شواهد موازية	المتكلم	الموضوع	في أشعيا	في لو/أع	
✓	أع ١٣: ٤٧		نور للأمم	أش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦	لو ٢٨-٣٢	١
	مت ٣: ٣؛ مر ١: ٢-٣؛ يو ١: ٢٣	المعمدان	صوت في البريّة	أش ٤٠: ٣-٦	لو ٣: ٤-٦	٢
✓	لو ٧: ٢٢	يسوع	مسحني لأبشّر	أش ٦١: ١-١٢ (+ ٥٨: ٦)	لو ١٨-١٩	٣
✓	لو ٤: ١٨-١٩		مسحني لأبشّر	أش ٦١: ١-١٢	لو ٧: ٢٢	٤
	مت ١٣: ١٤؛ مر ٤: ١٢؛ يو ١٢: ٤٠؛ ٢٨: ٢٦-٢٧		لا يُنْصِرُونَ وَلَا يُفْهَمُونَ	أش ٦: ٩-١٠	لو ٨: ١٠	٥

٦	لو ١٩:٤٦	أش ٥٦:٧	بيت للصلاة	مت ٢١:١٣؛ مر ١٧:١١	
٧	لو ٢٢:٣٧	أش ٥٣:١٢	أحصي بين الأئمة	(مر ١٥:٢٨)	✓
٨	أع ٧:٤٩-٥٠	أش ١-٦٦:١٢	السّماء كُرسيّ لي	مت ٣٤-٣٥	إستفانس
٩	أع ٨:٣٢-٣٣	أش ٧-٨:٥٣	مِثْل شاةٍ سيقَ إلي الدُّبُحِ	لو ٢٢:٣٧ ≈	✓
١٠	أع ١٣:٣٤	أش ٥٥:٣	مَراحِمِ داوِدَ الصّادِقَةِ	---	✓
١١	أع ١٣:٤٧	أش ٤٩:٦	نُورٌ للأُممِ	لو ٢٨:٢٢-٣٢	✓
١٢	أع ٢٦:٢٨-٢٧	أش ٦:٩-١١١	لا يُبصِرُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ	مت ١٣:١٤؛ مر ٤:١٢؛ يو ١٢:١٠؛ لو ١٠:٨	بولس

هناك معلومات إحصائيّة مميّزة أيضًا، إذا استخدمنا محرّك البحث للشواهد في بايبلووركس "X-Refs". إذا اعتمدنا على قاعدته الأساسيّة للشواهد "BW Master"، يربط المحرّك الشواهد الأشعياويّة لأربعة عشر نسخة مشوهة وحديثة للكتاب المقدّس. عندئذٍ يرتفع عدد الشواهد بأضعاف وأضعاف، الأمر الذي يطرح ضرورة دراسة مفصّلة لهذه الظاهرة، ولكن في إطار أوسع ممّا يسمح لنا هذا المقال. ولكن هناك معلومات ممكن ذكرها هنا. نجد في النسخ الأربعة عشر المشوهة ٣٦٥ شاهدًا لآية من الآيات الأشعياويّة في إنجيل لوقا، و ٣٠٦ شاهدًا في أعمال. تُصنّف هذه الشواهد على أساس وتيرة ورودها في النسخ الأربعة عشر. طبعًا، ينتمي العدد الكبير منها إلى الصنف الأقلّ ورودًا. على سبيل المثال، تحتوي أناجيل الطفولة على ١١٣ شاهدًا (٦١ في الإصحاح الأوّل، و ٥٢ في الإصحاح الثاني من لوقا). أما سفر أعمال، فيحتوي على عدد كثير من الشواهد خاصّة في العظا. لكم مثالان: في الإصحاح الثاني الذي يحتوي على عظة العنصرة تسجّل ٣٠ شاهدًا من أشعيا، والإصحاح ٧ الذي يقدّم عظة إستفانس يحصى ٤٠ شاهدًا. هذا ما يحصل أيضًا في نصوص عظات بولس لليهود وللأمم في أنطاكية بيسيديّة (الإصحاح ١٣) حيث نجد ٣٦ شاهدًا لأشعيا.

من الضروريّ تبويب هذه الشواهد، وتحليل مواضعها، والتأكد من صحتها بمراجعة النصّ الأشعياويّ العبريّ واليونانيّ.

٤. نماذج من النصوص اللوقاوية

لمعالجة هذا القسم من البحث تمّ اختيار نصّين من إنجيل لوقا يحتويان على نوعين من التناصّ مع سفر أشعيا، وهما الاستشهاد واستخدام النمط الأدبيّ. بهذه الطريقة نصل إلى توازن في دراسة العيّنات على أساس الموضوع، والمتكلم، ووجود نصوص موازية لها في أسفار العهد الجديد.

	في لوقا/أ	في أشعيا	الموضوع	المتكلم	النوع	شواهد موازية
١	لو ٢٢: ٣٧	أش ٥٣: ١٢	أحصي بين الأثمة	يسوع	استشهاد	(مر ١٥: ٢٨) أع ٨: ٣٢-٣٣
٢	لو ٣: ١-١٨	أش ١: ١-٣١	خلاصة لتعليم النبيّ	المعمدان	نمط أدبيّ	مت ٣: ١-١٢

٤. ١. "أحصي مع الأثمة" (لو ٢٢: ٣٧؛ أش ٥٣: ١٢)

يقع هذا النصّ في عظة يسوع الوداعيّة في العشاء الفصحّيّ السابق للآلام (لو ٢٢: ١٤-٣٨)، وهي تحتوي على كلمات تأسيس الإفخارستيّا، وعلى وصيّة يسوع لتلاميذه. أمّا الآيات ٣٥-٣٨، فليس لها نصّ موازٍ في الأناجيل الأخرى، والموضوع يدور حول ساعة المعركة الحاسمة التي فيها يجب أخذ الكيس والمزود والسيّف (قارن لو ٩: ٣).

يختم نصّ أش ٥٣: ١٢ النشيد الرابع للعبد المتألّم (أش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢). كان لوقا يعرف تمامًا لاهوت هذه الأناشيد، ولذلك يختم المقطع الأخير قبل قصّة الآلام بالآية الأخيرة من هذا النشيد، حيث يصوّر العبد المتألّم كرجل يتحمّل العار والظلم والإهانة والموت. كلّ هذا سيحصل ليسوع أيضًا كتحقق لهذه النبوءة. على عتبة الآلام يفترّ يسوع الأحداث على ضوء الأسفار المقدّسة، لأنّها تنور الفهم والإدراك في اللحظات الحاسمة للجماعة. لكنّ التلاميذ ليس لهم المقدرة بعد أن يفهموا رسالة أشعيا وعلاقتها بحاضرهم. يأتي قول يسوع على شكل لغز، وهو أسلوب خاصّ

بالمعلّمين الحكماء حتّى لا يفهم إلاّ تلاميذهم المميّزون. في سياق نشيد العبد المتألّم، لا يمكن أن يفهم موضوع السيف الوارد قبل الاستشهاد بأشعيا وبعده (الآيتان ٣٦ و٣٨، μάχαιρα) إلاّ على ضوء رسائل بولس الرسول، وخاصّةً أف ٦: ١٧ التي تؤكّد أنّ السيف هو الكلمة الحقيقيّة، أي كلمة الله. لذلك يتخلّل بين الذكر الأوّل للمصطلح سيف في آ ٣٦، والذكر الثاني له في آ ٣٨ استشهاداً مباشر من الكلمة الإلهيّة نفسها التي ستأخذ دور السيف في التجارب. على عكس ما كان في زمن الافتقاد في لو ٩: ٣، في الأيام الأخيرة يجب على التلميذ أن يخرج وهو حامل كيساً، مزوداً، والكلمة الإلهيّة. إنّه تعليم حكميّ للغاية، وهو يطبّق عندما ينتهي زمن افتقاد المسيح المنتظر.

في أع ٨: ٢٦-٤٠ يقرأ الخصيّي الحبشيّ هذا النشيد الأشعويّ نفسه في عودته من أورشليم إلى بلاده، وبناءً عليه يبشّره الرسول فيلبس بالمسيح القائم: "فَفَتَحَ فِيلِبُّسُ فَاهُ، وَابْتَدَأَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، فَبَشَّرَهُ بِيَسُوعَ" (آ ٣٥). هكذا يشير لوقا إلى أهميّة أش ٥٣ ودوره في شرح آلام المسيح وقيامته للمؤمنين اليهود.

٤. ٢. ملخص لتعليم النبيّ (لو ٣: ١-١٨؛ أش ١: ١-٣١)

في هذا العنوان لا ندرس الاستشهاد بأشعيا في لو ٣: ٤-٦ (المستشهد بأش ٤٠: ٣-٥)، بل تأثير النمط الأدبيّ الذي اعتمد عليه كاتب الإصحاح الأوّل من أشعيا، والذي نعود ونجده في لو ٣: ١-١٨. تتمييز إفتتاحيّة سفر أشعيا عن إفتتاحيّات مُعظم الأسفار النبويّة الأخرى بأنّها لا تحتوي، مثلها، على رواية دعوة النبيّ^(٣)، بل تقتصر، بعد مقدّمة قصيرة (أش ١: ١)، على نقل الكلام النبويّ. سبب هذه الظاهرة هو الفترة الزمنيّة الطويلة التي دُوّن فيها هذا السفر، إذ أنّ الإصحاح الأوّل الذي كُتب بعد السبي، أي في فترة متأخّرة جدّاً، لا يقصد أن يدوّن تقريراً تاريخيّاً لأعمال أشعيا النبيّ، بل أن يلخّص المفاهيم الأساسيّة المطروحة في السفر كلّ بالشكل الذي نعرفه اليوم (رج طرزي ١٤٨-١٤٩ و ١٥٤-١٥٥؛ Luc 115). يجد القارئ في أش ١ خلاصّة

(٣) رج مثلاً الإصحاحات التالية: إر ١؛ حز ١؛ هو ١، التي تبتدئ مباشرة برواية دعوة النبيّ. وأمّا دعوة أشعيا النبيّ، فنجدها في ٦: ١-١٣.

تمهيدية للأوجه اللاهوتية المتعددة والخاصة بهذا الكتاب.

نجد في الآية الأولى من سفر أشعيا بداية تشبه بدايات الأسفار النبوية الأخرى، وهي مقدمة تاريخية تربط زمن أقوال النبي وأعماله بزمن أصحاب السلطة المعاصرين له^(٤). ثم يستدعي أشعيا السماء والأرض لكي تكونا شاهدتين تمثلان الكون بكامله (أش ١: ٢)، ويأخذ يعظ بأقوال الرب التي تتكون في الأوّل من توبيخ طويل للشعب (أش ١: ٢ ب ١٥)، يفصح فيه النبي وضع الشعب الموحزن والخاطيء (أش ١: ٢ ب ٩)، ويشير إلى ذبائحهم وعبادتهم المرائية والفارغة (أش ١: ١٥-١٠). تلحق التوبيخ هذا دعوة إلى الاعتناء بالمساكين والمظلومين كمقابل للخطايا والأعمال الرديئة التي يرتكبها الشعب (أش ١: ١٦-١٧). إنّ الدعوة هذه إلى التوبة هي المرافق الطبيعي للكلام المهذّب السائد في هذا الإصحاح، لأنّ الفرصة الوحيدة للخلاص أمام الأيام الأخيرة الآتية هي التعامل مع الفقراء والمظلومين بعدالة، والاعتناء بهم على الدوام (أش ١: ١٠-٢٠). أضف إلى ذلك أنّ التوبة المقصودة هنا هي مفهوم سائد في معظم النصوص الكتابية يدلّ على العودة إلى السلوك في الحياة بحسب إرادة الله، وهي تعود إلى الكلمة العبرانية «شوب» المترجمة في اليونانية بـ *μετανοία* أو *ἐπιστροφή*^(٥). وستبيّن لوقا هذا المفهوم للتوبة في عرضه لخطاب المعمدان وتعليمه كما سنرى في ما بعد.

ويتابع النبي خطابه في آ ١٨-٢٠ بلهجة هجومية في حال استمرار المستمعين في خطيئتهم، وبلهجة الرجاء في حال اتّخذوا طريق التوبة. ويتبدى من آ ٢١ قسم جديد في سياق الكلام حيث ينتحب النبي على برّ أورشليم المفقود والفساد السائد بدلاً منه (أش ١: ٢١-٢٣). ولذلك يسمّي الله شعبه عدوّاً، وينذرهم بالدمار لكي يعود البرّ يحكم في داخل أسوار أورشليم (أش ١: ٢٤-٢٨)، وهذا يعني أنّ الله سيضع حدّاً

(٤) رج المقدمات التاريخية في إر ١: ١-٣؛ حز ١: ١-٣؛ عا ١: ١؛ حج ١: ١؛ زك ١: ١.
 (٥) رج أش ١: ٢٧. بينما النصّ العبراني من أش ١: ٢٧ يستعمل الجذر "شوب" للتعبير عن "التوبة"، يترجم النصّ السبعيني هذا المصطلح بكلمة *ἐλεημοσύνη*، أي "الصدقة"، مفسّراً هكذا مفهوم التوبة كمعاملة الفقير بعدالة.

للأعمال الظالمة، وفي الآن نفسه سيفتدي ويخلص أبراره المساكين. وينتهي الإصحاح الأول من أشعيا بالتشديد على كون الربّ دياناً في مجيئه (أش ١ : ٢٩-٣١). وهذه الفكرة هي من أهمّ العناصر في البشارة الإشعياية.

تشارك أخبار لوقا حول المعمدان، ببعض النقاط الجوهرية، مع افتتاحية سفر أشعيا النبي. ونجد أولاً أنّ لكلا المقطعين وظيفة أدبية واحدة تحتوي على تقديم مجموعة مختارة من الأقوال التي ينسبها التقليد إلى هذا النبي أو ذلك. وليس من مقصد هذه النصوص تدوين تاريخ دقيق لأعمال النبيين، بل التعريف بأشعيا الكتابي وبيوحنا اللوقاويّ أنّهما حاملاً للإعلان الإلهي والمبشّران به.

بعد مقدّمة تاريخية قصيرة تضع ظهور الكلمة الإلهية في حقبة معيّنة من التاريخ البشريّ، يبدأ الكلام النبويّ بتوبيخ قصده إنهاء الشعب إلى التوبة (لو ٧ : ٩-١٠؛ أش ١ : ٢ب-١٥ و ٢١-٢٣) لأنّ تكاثر الخطايا والآثام يُعيد إسرائيل عن الله ويهدّد وجوده على الأرض. وكما يسمّي أشعيا الشعب المتمرد "الشعب الثقيل الإثم" و"نسل فاعلي الشرّ" (أش ١ : ٤)، هكذا يقول المعمدان لمستمعيه: "يا أولاد الأفاعي"، في لو ٣ : ٧، ويفرض كلّ إمكان الهرب من "الغضب الآتي". ويكتمل يوحنا الطرح الإشعيايّ معلناً أنّ لا وجود للجماعة دون الحفاظ على الإيمان المستقيم (أش ١ : ٤-٩) الذي يُعرف في أعمال البرّ والحقّ (أش ١ : ٤، ١٦، ٢١، ٢٣).

لذلك تلي التوبيخ مجموعة من الإرشادات السلوكية الاجتماعية بشكل أفعال الأمر والنهي (لو ٣ : ١٠-١٤؛ أش ١٦ : ١-١٧). هكذا، وبعد الدعوة إلى التوبة، يُلحّ كلٌّ من يوحنا المعمدان وأشعيا على ضرورة إنصاف المظلومين، إذ بهذه الطريقة يُعبّر بالفعل عن تغيير جذريّ، قد يفتح للتائبين أبواب الرحمة والخلاص (أش ١ : ١٩؛ KILIAN 24-25). إنّ مبشّريّ الأحداث الخلاصية يدعوان المستمعين إلى مساعدة القريب في كلّ حاجة ماديّة (لو ٣ : ١٠-١٤)، وخصوصاً إلى تحقيق البرّ والحقّ إزاء كلّ مهمّسٍ ومظلوم (أش ١ : ١٧).

وأما خاتمة العظمتين، فهي تحتوي عند يوحنا ولوقا وعند أشعيا على إعلان الدينونة

الآتية (لو ٣: ١٥-١٧؛ أش ١: ٢٤-٣١)، وتحمل الدينونة في هذا الإعلان معنى مزدوجًا، إذ هي تعني خلاصًا للأبرار وهلاكًا للأشرار. "اليد" تظهر في النصين (لو ٣: ١٧؛ أش ١: ٢٥) كمصطلح تقني، وترمز إلى سيادة الله و مسيحه معًا.

ويبقى أن لو ٣: ٣-٦ لا شيء يعادلها في الإصحاح الأول من أشعيا، لأنها لا تقصد ربط أعمال المعمدان بالتقليد الإشعائيّ بواسطة النمط الأدبيّ فحسب، بل بواسطة إستشهاد من كتاب النبيّ يعطي مدخلًا جوهريًا لفهم بشارة المعمدان. وهذا ما يُدرس على أساس التناص بالاستشهاد.

خاتمة

يتميّز سفر أشعيا لأنه جوهريّ و ضروريّ للتبشير بالإيمان المسيحيّ من أجل فهم البنوة الإلهيّة قيامة المسيح. علاوة على ذلك يحتوي السفر النبويّ على مواضيع محوريّة للتعليم المسيحيّ، وهي دعوة الخلاص للأمم، آلام المسيا المنتظر والسلوكيات اليوميّة المبنية على العدالة الاجتماعيّة مع القريب المحتاج والمهمّش.

أشرنا في هذه المقالة إلى دور النصّ الأشعويّ بالنسبة إلى الكاتب اللوقاويّ، وحلّلنا طريقة تفسير الإنجيليّ للنبيّ الأهمّ في العهد القديم. أناشيد العبد المتألم، عبد الربّ، هي أفضل وسيلة لإدراك رسالة يسوع الناصريّ وأعماله المتوّجة بالصلب القيامة.

في نهاية الأزمنة، في زمن الكنيسة، والبشارة بالقيامة، يقترح لوقا إعادة قراءة النصوص الأساسية للإعلان الإلهيّ من أجل إثبات صحتّها وحقيقتها، وحتىّ تصل البشارة بشكل مقنع وفعال للبشر أجمعين.

المراجع

- Bible Works. *Bible Works*, Ver. 9, Bible Works for Windows, Hermeneutika Computer Bible Research Software, 2011, Released for Windows Vista/7, DVDs.
- BULLINGER, E.W. Isaiah. Quotations and Allusions in the New Testament. At: *Levend Water*, seen on 22 November 2012, at: <http://levendwater.org/index.cfm>.
- CROATTO, J.S. «El origen isaiano de las bienaventuranzas de Lucas. Estudio exegético de Is 65, 11-16», *Revista Biblica* 59 (1997) 1-16.
- CROATTO, J.S. «La elaboración lucana de la alegoría de la viña de Isaías 5, 1-7», *Revista Biblica* 64 (2002) 193-204.
- GENETTE, G. *Palimpsestes. La littérature au second degré* (Points. Essais 257). Paris : Seuil, 1992.
- KILIAN, R. Jesaja 1-12 (NEB.AT 17). Wuerzburg, 1986.
- LASH, N. *The Beginning and the End of Religion*. Cambridge: C. University Press, 1996.
- LUC, A. *Isaiah 1 as Structural Introduction*, in: *Zeitschrift für alttestamentliche Wissenschaft* 101 (1989).
- MARGUERAT D. et A. CURTIS (éd.). *Intertextualités. La Bible en échos*. Genève: Labor et Fides, 2000.

طرزي، بولس نديم، مدخل إلى العهد القديم. الجزء الثاني: التقاليد النبوية (دراسات كتابية ٧)، بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨.